دور علماء المغرب الاسلامي ببلاد الحجاز خلال العصر الوسيط ـالكتاتيب أنموذجاـ

The role of scientists Islamic Maghreb in the Hijaz during the Middle Ages - Katateeb as a model-

د.مراح سميرة [1] *، أ.سايغي سعاد مسعودة [2]

[1] مركز البحث في العلوم الإسلامية بالأغواط (الجزائر) ، ikramsalira@gmail.com

[2] جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، saighi.souad@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2023 /03/09 تاريخ القبول: 2023 /05/01 تاريخ النشر: 2023/06/10

الملخص:

هدفنا من خلال هذه الدراسة، إلى إبراز دور العلماء المسلمين في نشر الدعوة الإسلامية ببلاد الحجاز، التي تعد محطة هامة لكافة العالم الإسلامي لما تزخر بيه من منشآت دينية وكذا حواضر إسلامية عديدة، إذ تم فيها نشر الدعوة الإسلامية، بالإضافة إلى نشر المذاهب الفقهية، هذا ما دفع بالعلماء المغاربة في الاستقرار بالحجاز .

الكلمات المفتاحية: العلماء المسلمين؛ الدعوة؛ الإسلامية؛ المذاهب؛ الفقهية؛ الحجاز.

* المؤلف المرسل

Abstract:

Through this study, we aim to highlight the role of Muslim scientists in the dissemination of the Islamic advocacy (Da'wah) in the country of Hijaz, which is an important stop for all the Islamic world because of its abundant religious facilities as well as many Islamic civilizations, where the Islamic advocacy was desseminated, as well as the dissemination of doctrines of jurisprudence, what motivated Maghrebian scientists to settle in the Hijaz?.

Keywords: Muslim scientists; advocacy; Islamic; doctrines; Hijaz.

مقدمة:

وجدت مكة والمدينة لتكون مركزا إشعاع ديني وعلمي على مدى الزمان وهو ما حدد أهمية الحرمين الشريفين، من خلال نشاط علمائها عبر التاريخ منذ أصبحت دار إسلام ومهبط وحي ومنطلق رسالة إلهية، فمكة المكرمة أضفيت عليها حلة لا تتوفر لغيرها، وهي اقتران الحج بطلب العلم، فالقدوم لأداء فريضة الحج عامل من عوامل التواصل والالتقاء، ومناسبة تتسع في رحابها لاحتضان النخب العلمية من كل الآفاق، تلتقي وتتحاور وتتذاكر، وتحقق الإلتزام الوثيق بن حج العلماء وطلب العلم.

فالحجاز كانت ولا زالت نقطة التقاء ومركز تجمع المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية، ولهذا كانت أقوى مراكز نشر الثقافة الإسلامية والتواصل العلمي والثقافي بين تلك الأقطار.

وقد سلطنا الضوء في بحثنا هذا على نخبة من علماء المغرب الإسلامي امتهنت التدريس في بلاد الحجاز خلال العصر الوسيط، وما خلفته من تأثير بالعدوة الحجازية من خلال الإجابة عن الإشكاليات التالية:

- من هم أبرز العلماء الذين تقدَّموا للتدريس في الحجاز؟ وما مدي إسياميم في إثراء الحياة الفكرية ببلاد المشرق الإسلامي؟

- ما أصناف العلوم التي كان يدَّرسها علماء المغرب الإسلامي ببلاد الحجاز؟

أولا: العلماء المغاربة ودورهم في تعليم القرآن

تفيض المصادر بذكر العديد من المدرسين الذين نشطوا مجالس التدريس بالحرم المكي، وبناء على ما سبق من توافر العوامل المؤهلة لإسهامات العلماء المغاربة في الحركة العلمية في الحرمين الشريفين، فقد زخر كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوى بالعديد من تراجم العلماء المغاربة وعرض إنجازاتهم في الحياة العلمية تلك الفترة، ومن خلال أجزائه الأحد عشر أحصيت تراجم العلماء المغاربة الذين اشتغلوا بالتدريس في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكان لهم دور في ازدهار الحركة العلمية في بلاد الحرمين الشريفين في تل ك الفترة وفيما يلي توضيح ذلك.

1-العلوم الشرعية.

ازدهرت العلوم الشرعية في الحرمين الشريفين في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي، وكان هناك الكثير من العلماء في بلاد الحرمين الذين أسهموا بشكل كبير في هذا الازدهار أمثال البرهان بن صديق (٨٠٦هـ/١٤٠٣م)، وشمس الدين محمد بن أحمد الشامي (ت٨٣١هـ/١٤٢٧م) وزين الدين الطبري (ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م) والقاضي جمال الدين بن ظهيرة (ت٨٨٢هـ/١٤٧٧م)، والقاضي على النويري (ت ٨٨٢هـ/١٤٧٧م)[1] ، وغيرهم الكثيرين من العلماء البارزين في العلوم الشرعية والذين سمع منهم طلاب العلم سواء كانوا من بلاد الحرمين أو ممن حج وجاور لطلب العلم، حيث كانت بلاد الحرمين هي وجهة[2].

العلماء المغاربة ومقصدهم، فبعد الانتهاء من أعمال الحج كانوا حريصين على البقاء فيها مدة - قد تطول أو تقصر- ويستقرون في الأربطة المخصصة للمجاورين في كل من مكة والمدينة، وأسهموا في تطور الحياة العلمية تلك الفترة واشتغلوا بتدريس العلوم الشرعية واللغوية، والعلوم العقلية والتاريخ والأنساب، كما اشتغل البعض منهم بتأديب الأطفال وتعليمهم القرآن الكريم.

2-إسهامات المغاربة في تعليم القرآن:

شارك المغاربة في تلك الفترة في تأديب الأبناء في بلاد الحرمين وتعليمهم القرآن الكريم، وكان للبعض منهم دور كبير في هذا المجال، ونذكر منهم:

✓ محمد بن ميمون أبو عبد الله الأندلسي ابن الفخار(801هـ/ 1398م).

دخل مكة لأداء فريضة الحج حوالي عام٧٩٦هـ/١٣٩٣م، ثم توجه بعد انتهاء الحج إلى المدينة المنورة وأقام فيها مدة خمسة أعوام واشتغل بتعليم الأبناء، وكذلك تميز في تعليم الفقه، وقد عرف عنه التقوى والصلاح، وقد توفى بمكة (٨٠١هـ/١٣٩٨م) بعد أن جاور فيها عام واحد.[3]

✓ يحيى بن أحمد الزندونى (820– 898هـ/1417–1489م).

قدم بلاد الحرمين لأداء فريضة الحج عام ٨٤٥ هـ/١٤٤١م، وجاور في مكة، ثم توجه إلى المدينة المنورة واستقر بها، وقد تميز بتلاوته المجودة للقرآن الكريم، واختار أن يشتغل في المدينة بتعليم الأبناء القرآن الكريم، واستمر على ذلك وقد جاوز السبعين من عمره، فقرأ عليه أهل المدينة جيلاً بعد جيل، وكان من أهل الصلاح والتقى أثنى عليه أهل المدينة لفضله وصلاحه.

✓ علم التفسير:

علم التفسير من العلوم الشرعية التي لاقت اهتماماً واسعاً من العلماء المغاربة، وذلك نظراً لأهميته وقيمته الكبيرة، وهو علم يشتمل على معرفة وفهم كتاب الله –عز وجل– وبيان معانيه واستخراج أحكامه، وقد ظهر العديد من العلماء المغاربة في هذا المجال، ونخص بالذكر من قدم بلاد الحرمين وكان له دور في ازدهار علم التفسير، ومنهم:

✓ محمد بن محمد بن أبو عبد الله الورغمى (716– 803هـ/1316– 1400م).

كان الورغمى متعدد العلوم والفنون، وهو من العلماء الذين يرجع إليهم في الفتوى في بلاد المغرب، حيث اجتمع له من العلوم ما لم يجتمع لأحد من المغاربة، قدم مكة قاصداً أداء فريضة

الحج أكثر من مرة ، فحج سنة ٢هـ/١٣٨٩م، والمرة الثانية سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م، فصار مقصد العلماء وطلاب العلم بعد أن استقر في مكة للحصول منه على الإجازة[4]، ومن هؤلاء ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، وابن الجوزى (٦٥٤هـ/١٢٥٦م، وله العديد من المصنفات منها: مصنف في التفسير جمعه في مجلدين، كما برع أيضاً في علم الفقه،[5] وصنف فيه كتاب "المبسوط" ، في سبعة مجلدات، وله -أيضاً -مختصر جامع في علم المنطق. وقد ذكر بعض المصادر بعض تلاميذه في التفسير والحديث منهم يحي العجيسى البجائى (ت (م١٤٥٧/هـ٨٦٢).

✓ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: (768-876هـ/1384-1471م).

أحد أئمة التفسير المغاربة في تلك الفترة، وقد دخل مكة قاصداً الحج، ثم جاور فيها واشتغل بالوعظ والرقائق وتدريس التفسير، وله ما يزيد عن الستين مؤلفاً، منها: اختصار تفسير ابن عطية في جزئين، وله أيضا شرح كتاب ابن الحاجب الفرعي في جزئين، وكتاب "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" في أربعة أجزاء، وكتاب "الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز" كما تميز عبد الرحمن الثعالبي في علم الحديث والفقه، وله العديد من المؤلفات، منها: "نزهة الأخيار" في الفقه، و"جامع الهمم في أخبار الأمم" في أحكام العبادات، وكتاب "رياض الصالحين".[6]

✓ إسهامات العلماء المغاربة في علم الحديث:

جعل الله علم الحديث من أشرف العلوم، وهو مع القرآن الكريم المصدران الأساسيان من مصادر الشريعة الإسلامية، قرن الله بين هذين المصدرين في العديد من الآيات الكريمة، قال تعالى:(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[7]، ويقول تعالى:(وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[8]، والمقصود بالحكمة فَي الآيَات اَلكريمَات هوَ السنة اَلنبوية كما هو رأى جمهور أهَل اَلتفسيرً منَهم الحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وغيرهم.

وفيما يلي نستعرض العلماء المغاربة الذين اشتهروا بتدريس علم الحديث في الحرمين الشريفين خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.

- ✓ **سليمان بن أحمد بن عبد العزيز علم الدين الهلالي المعروف بابن السقا (726–802هـ/1325–1399م).**

وهو أحد العلماء المغاربة الذين قدموا لأداء فريضة الحج، ثم جاور في المدينة المنورة، وتفرغ لتدريس الحديث فيها ، فسمع منه العلماء والفضلاء، ومن هؤلاء: ابن حجر العسقلاني، وأبى الفتح المراغي، والمحب المطري.

- ✓ **عمر بن علي بن أحمد أبو حفص (723– 804هـ/1323–1401م).**

هو أحد العلماء الأندلسيين الذين جاوروا في مكة، ودرسوا علم الحديث، وأحد علماء عصره البارزين، تميز بالتأليف والتدريس منذ وقت مبكر، ومن مروياته الكتب الصحاح الستة، ومسند الشافعي وأحمد وصحيح ابن حبان وسنن الدارقطنى، وله العديد من المؤلفات منها: "المقنع في علوم الحديث"، و"تخريج أحاديث الرافعي" في سبعة مجلدات، واختصره في مجلد واحد، و"تخريج أحاديث الوسيط للعزالى" في مجلد، و"تخريج أحاديث المهذب " في مجلدين، و"شرح الأربعين النووية" في مجلد، وكتاب لطبقات القراء وآخر لطبقات الصوفية، وغير ذلك الكثير من المصنفات التي بلغت حوالي ثلاثمائة مؤلفاً، وقد حدث بالكثير منها وبغيرها من المرويات[9].

- ✓ **قاسم بن علي بن محمد أبو القسم التنملى الفاسي (743–811هـ/1341–1408م).**

قدم مكة لأداء فريضة الحج، غير أن المصادر لم تذكر سنة دخوله مكة، وقد توافد عليه طلبة العلم والعلماء للحصول منه على الإجازة، ومن هؤلاء ابن حجر العسقلاني، وغيره من العلماء ، كما عرض عليه الصلاح الأقفهسى(ت٨٢٠هـ/١٤١٧م) جزء من مروياته في الحديث، أسماها " تحفة القادم من فوائد الشيخ بن أبى القاسم " وحدث به في مكة، وسمع منه الكثير من طلبة العلم.

-نماذج من أعلام الموسوعة النفيسة:

هم أبو عمران موسى بن زكريا، وأبو عمر النميلي، وعبد الله بن مانوج ،وأبو زكريا يحي بن جرجاز وجابر بن سدرمام، وكباب بن مصلح، وأبو مجبر توزين، وهولاء كلهم من جبل نفوسة، كذالك من موسوعات جبل نفوسة في الشريعة الإسلامية نذكر (ديوان الغرابة) الذي ألفه عشرة من العلماء ويقع في عشرة أجزاء وهو موجود مخطوطا في خزائن وادي مزاب .

وكان لوفرة هذه التآليف أن انتشرت المكتبات العامة والخاصة ،والتي كانت لها دورها البارز في الحياة الثقافية بالمغرب ،فقد كان لأبي العرب التميمي مكتبة حوت ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب خطها بنفسه، وكانت العصومة إحدى المكتبات الرئيسية بتاهرت، وقد دعمت هذه المكتبة بمدونة أبي غانم الفقهية، وعند إستلاء الفاطميين على تاهرت أحرقوا هذه المكتبة بما كانت تزخر به من كتب ومنها هذه المدونة .

-نخلص مما سبق أن المغاربة كان لهم باع في التأليف وتصنيف الكتب في شتى مجالات العلم والفنون، تترجمها الأعداد الهائلة من تلك الكتب التي ألفها علماء وفقهاء جمعوا بين التعليم والتأليف، وقد برز المغاربة في هذه الفترة بالاشتراك في تأليف شبه موسوعة كان لها أثرها الكبير في الحياة الثقافية في تلك الفترة[10].

ثالثا: ماهية الكتاتيب

- ✓ **تعريف الكتاتيب:** هي مؤسسة تعليمية عالية يقودها عالم في الفن واحد أو عدة فنون يسهر عليها وعلى طلابها أخلاقيا وأدبيا وماديا حسبة لوجه الله تعالى.

-هي مكان من الأماكن الأولية لتعليم الناشئة القرآن الكريم والدين ومبادئ القراءة والكتابة والخط والحساب .يشرف عليها شخص يسمى المعلم .

-هي الحلقات الدراسية أو المجموعة التي يعقدها بعض العلماء في جانب المساجد أو تحت ظل الأشجار، وعادة يجلس المعلم على حصير ويلتف حوله عدد من التلاميذ، وبيده السوط

والتلاميذ يرددون دروسهم ويلزمون المدرسة صباحا ومساء ليس للحكومة يد فيها كما هو الحال في المدارس النظامية بل كان التعليم فيها جهادا في سبيل الله.

✓ **أهداف ودور المدارس القرآنية:**

–إن الهدف الأساسي من تأسيس المدارس القرآنية هو ربط الطفل بالقرآن الكريم عقيدة وعقلا، وتمسكهم به حفظا وحسن تلاوة وفق قراءة نافعة، وتعليمه القراءة والكتابة وتربيته على الخلق والعمل الصالح؛ فالقرآن الكريم يوجه الأفراد نحو القيم الهادفة من خلال القصص التي لها تأثير كبير على نفسية الفرد.

–تعد كتاتيب القران الكريم من أقدم المراكز التعلمية عند المسلمين وكان لها مكانة عالية الشأن في العصور الإسلامية وأدوار مرموقة منها

- ربط الطفل بالقرآن الكريم
- تربية الطفل على الثقافة الإسلامية والعمل الصالح
- تدريب الطفل على تلاوة القرآن وإتقانه[11].

خاتمة:

عصارة القول إن رحلات علماء المغرب الإسلامي إلى الحجاز خلال العصر الوسيط اتسمت بالديناميكية والفاعلية، واكتسبت بعدا علميا ترك بصمات واضحة على المسار العلمي، إذ ساهمت في تكوين أطر علمية حجازية كفئة. كما ساهمت في تكوين أطر دينية وإدارية أصبحت ذات باع طويل في مجال القضاء والإفتاء والتدريس، وهو ما مكن من المزيد من توثيق العلاقات العلمية بين المغرب الإسلامي والحجاز.

قائمة المراجع:

أولا: القرآن الكريم برواية ورش

ثانيا: الكتب

1-أسماء جلال صالح، **دور العلماء المغاربة في الحياة السياسية في الحرمين الشريفين**، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد 38.

4-- بوعلام صاحي، مراكز النشاط الفكري ببلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى أواخر القرن الثالث الهجري/ الثامن إلى أواخر التاسع ميلادي)، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2، المجلد، 15، العدد17، سبتمبر 2014،

5- بللوتكر، بابا كاكابابا غونيمي، **دمج نظام الكتاتيب في نظام التعليم الغربي** المعاصر، مجلة التكامل في بحوث العلوم الاجتماعية والرياضية، المجلد (6)، العدد 1، جوان 2022.

الهوامش:

[1] د/ أسماء جلال صالح، دور العلماء المغاربة في الحياة السياسية في الحرمين الشريفين، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد 38، ص166-167.

[2] المرجع نفسه، ص ص166-167.

[3] المرجع نفسه، ص168.

[4] د/ المرجع نفسه، ص ص166-167.

[5] المرجع نفسه، ص166-167.

[6]

[7] سورة آل عمران، الآية 164.

[8] سورة البقرة، الآية 231.

[9] د/ أسماء جلال صالح، المرجع السابق، ص175-176.

[10] بوعلام صاحي، مراكز النشاط الفكري ببلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى أواخر القرن الثالث الهجري/ الثامن إلى أواخر التاسع ميلادي)، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2، المجلد، 15، العدد17، 2014، ص ص 66-67.

[11] بللوتكر، بابا كاكابابا غونيمي، دمج نظام الكتاتيب في نظام التعليم الغربي المعاصر، مجلة التكامل في بحوث العلوم الإجتماعية والرياضية، المجلد (6)، العدد (1،جوان 2022.ص ص 43-45 .